العدد العشرون
2003

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا

1371 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2003 مسيحي

الدكتور: أحمد محمد أضبعة
كلية الآداب - جامعة الفاتح - طرابلس

تقديم:

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ حمداً يوازي ما أولانا به من الجود والفضل والرحمة والعدل وأرشدنا لأفضل السُبل، الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً وأنزل القرآن للبشرية نوراً، وجعله لعباده دستوراً، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وشارحاً لأحكام هذا الكتاب الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

تُمثل الرعاية الاجتماعية في العالم الآن محور اهتمام الأفراد والجماعات والهيئات الدولية، ذلك لما يميز العالم من تغيرات وتطورات سريعة ومذهلة.

فالعلماء والمبدعون والمفكرون والمصلحون أصحاب النفوس الصادقة والضمير الحي، يبحثون ويقدمون الجديد من أجل صالح البشرية؛ لكي يعم العدل والرخاء والأمن والسلام؛ وأصحاب النفوس المريضة يستغلون هذه الابتكارات والإنجازات العلمية لأغراضهم الدنيئة من أجل كسب المال على حساب الإنسان.

لقد استطاع العلماء الوصول إلى القمر والمريخ وغزو الفضاء الخارجي، ولكنهم عجزوا عن تحقيق العدل والسلام على الأرض، واستطاعوا أن يبلغوا درجة عالية من التكنولوجيا في مختلف المجالات، في الوقت الذي زادت فيه الكثير من المشكلات التي تعاني منها البشرية: كالبطالة والفقر والأوبئة والانحلال الأخلاقي والتفكك الأُسري وانتشار تعاطي المخدرات والكحول.

لقد أصبح الإنسان يفتك بنفسه بما ينتجه من أسلحة دمار، ويصرف عليها الملايين في الوقت الذي عجز فيه عن توفير الغذاء والكساء والمأوى لأبناء جنسه،

في هذا العصر أصبحت القيم الإنسانية نادرة، حتى أصبحت هذه القيم في بعض المجتمعات بالية، وتنسب إلى العصور الماضية، وتوصف بأنها أفكار بالية قد أكل عليها الزمن وشرب.

إن ما نراه الآن في الساحة العالمية من أحداث مروعة من حروب واغتيالات وهتك لحقوق الإنسان، وتشرد الملايين، والعاطلين عن العمل، وانتشار الأمراض الفتاكة، والانحلال الأخلاقي، لهو خير دليل على زيف وبطلان الشعارات التي ينادي بها أصحاب المذاهب المختلفة، والتي عمدت إلى قمح الروح وإعلاء شأن المادة.

إن السبيل الوحيد للخروج من هذه المساوىء هو اتباع ما شرعه الله من شرائع لصالح الناس كافة، في كل زمان ومكان، الله سبحانه وتعالى بصير بعباده

وهو أدرى وأعلم بشؤونهم قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

إن الإسلام، بقيمه الروحية والعقلية والاجتماعية والإنسانية، إنما أراد أن ينقذ البشرية من أهوال وانحرافات أدت بهم إلى الهلاك، وهو لا يزال وسيبقى صالحاً لكل زمان ومكان، وأنه خاتم الأديان السماوية، ويدعو إلى المحبة والتسامح والمساواة والسلام بين جميع أفراد البشر، لا فرق بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح حيث (لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى).

أولاً ـ مفهوم الإنسان[1]:

ما هو الإنسان؟

إن مفهوم الإنسان هو أكثر صعوبة وتعقيداً، وهو نوع فريد يختلف عن كل المخلوقات الأخرى؛ لذلك أوجد الأنتروبولوجيون مصطلح البشريات، الذي يشتمل على المخلوقات التي تقف على قدمين، ومنتصبه القامة عريضة الحوض، وبيدين قادرتين على القبض والالتقاط، ولكن هذا لا يكفي، فالإنسان ينفرد بسلوكه وهو الأجدر بالملاحظة والذي يتكيف مع بيئته الإيكولوجية، وهذه الخاصية تفتقدها الأنواع الأخرى، فكل المخلوقات تقيم مأوى لها، وتأكل بطريقة خاصة بالنوع الذي تنتمي إليه، فنجد الإنسان يقوم ببناء مأواه وتجهيز طعامه بطرق تختلف في إطار نوع الإنسان من مجتمع لآخر.

وهكذا تتبدل علاقات الإنسان من مجتمع لآخر، فتختلف العلاقات الاجتماعية في أنماط الزواج والإقامة والقرابة، وعلاقات السلوك بين الجنسين، وهذه لا نجدها عند المخلوقات الأخرى.

فالإنسان له جانبان: بيولوجي وسلوكي، وهذا يميزه عن الرئيسيات من أدناها إلى أعلاها التي تقف عند صور العناية البسيطة والبدائية جداً، حيث إن

(1) أسامة النور، أبو بكر شلابي ـ تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات.. منشورات ELGA ـ مالطا ـ 1995 ص71.

هذه العناية تمثل الإسمنت الاجتماعي للرئيسيات كعادة متبادلة تتغير مع تبدل الأدوار، حتى يصبح المعتنى به قادراً على الاعتناء بغيره، ويعتبر ارتباط الأم بالنسل من أهم المميزات، وهذه العلاقة تمنح الاستقرار للمجموعة، خلافاً للحيوانات الأخرى. لا تنتهي علاقة الطفل بأمه بالفطام بل تستمر هذه العلاقة مدى الحياة، نظراً للعلاقة الحميمة بينهما، التي هي انعكاس لسلوك العناية الذي يستمر بين الأم وأطفالها حتى في بلوغهم سن الرشد.

ثانياً ـ حاجة الإنسان إلى الدين:

التدين فطرة في الإنسان، وهو جزء من كيانه ووجوده منذ بدء الخِلقة، وحتى تقوم الساعة، فالنفس الإنسانية خلقها الله سبحانه وتعالى، وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]، ويقول الرسول ﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**.

فالإنسان لا غنى له عن الدين والتدين؛ لأنه جزء من ذاته ونفسه وفطرته، قال الفيلسوف اليوناني سقراط: (كما يشعر الإنسان بحاجته الماسة إلى الماء والهواء والطعام تشعر روحه أنها في حاجة مبرمة أيضاً إلى غذاء معنوي إلٰهي، وهذا الشعور هو في عُرفنا الدين الذي اهتدى إليه أول إنسان)[4].

وإذا كان سقراط قد توصل إلى هذا بعقله فإن هذا لا يغنينا عن الوحي الإلٰهي للوصول إلى الحقيقة الكاملة والدين الكامل المتمثل في الدعوة الإسلامية عن طريق سيد المرسلين محمد ﷺ الصادق الأمين.

---

(2) سورة الروم، الآية: 30.

(3) سورة يس، الآية: 22.

(4) محمد الزحيلي ـ وظيفة الدين في الحياة ـ جمعية الدعوة الإسلامية ـ الجماهيرية 1991.

ومنذ أكثر من ألفي سنة تقريباً قال المؤرخ اليوناني المشهور بلوتارك: (من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا آداب ولا مسارح ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا معبد أو لا يمارس أهلها العبادة)[5].

فالدين أمير غريزي وطبيعي متأصل في أعماق الإنسان وهو من حاجات النفس، ونجد في معجم (لاروس) للقرن العشرين أن الغريزة الدينية شائعة وعامة في كل الأعراق البشرية، فقد لوحظت صورتها البدائية لدى أكثر الشعوب همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية.

ثالثاً ـ مفهوم الدين[6]:

في البداية لا بد لنا أن نوضح مفهوم الدين الصحيح ونميزه عن المفهوم الخاطئ الشائع عند البعض.

الدين لغةً يعني: الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والتقاليد. من دان به أو دان بالشيء أي اتخذه ديناً ومذهباً؛ أي اعتقده أو اعتاده. ودان بالإسلام ديناً أي تعبد به وتدين.

تعريف الدين اصطلاحاً: لقد اختلفت وجهات النظر لدى المفكرين وعلماء الاجتماع في تعريف الدين، وكذلك نظراتهم متفاوتة، ولقد ظهرت ثلاثة اتجاهات لدى علماء الغرب في ـ تعريف الدين:

الاتجاه الأول:

هنالك من ينكر الدين والإلٰه أصلاً مثل: أوجَست كونت الذي ينكر جوهر الدين في وجود الخالق المبدع. ويرى أن العقلية الإنسانية مرت بثلاثة أدوار رئيسية وهي: طور الفلسفة الدينية. ثم الفلسفة التجريدية، ثم دور الفلسفة

---

(5) مصطفى عبد الغني شيبه ـ دراسات في الثقافة الإسلامية ـ منشورات المعهد العالي لتعليم اللغات ـ سبها ـ 1989 ص108.

(6) محمد الزحيلي ـ وظيفة الدين في الحياة ـ جمعية الدعوة الإسلامية الجماهيرية 1991 ص13.

الواقعية. وجعل التفكير الديني مرحلة بدائية تجاوزتها البشرية، وتخلت عنها ولا تعود إليها، وكذلك ما ينادي به فرويد الذي يقسم حياة البشرية إلى ثلاثة مراحل سيكولوجية: الأولى مرحلة الخرافة، والثانية مرحلة التدين، والثالثة والأخيرة هي مرحلة العلم.

يقول جويوه في كتاب لا دينية المستقبل: الديانة تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الإنسان البدائي في الكون.

الاتجاه الثاني:

يتجاهل هذا الاتجاه حقيقة الدين وأثره في النفوس والعقول، ووظيفته في التشريع والأخلاق، ويلجأ إلى الدين عند الحاجة والضرورة، وعند حالات الضعف والمرض وقصور العقل عن تحليل أو تعليل حوادث الكون. يقول شلاير ماخر في مقالات عن الديانة: «قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة».

الاتجاه الثالث:

وهو يفهم الدين من الناحية الروحية والخلقية، وهو أسمى مظهر للتدين عندهم، ويمثل طبيعة الدين النصراني بعد انحسار الكنيسة عن الحياة والسلطة. يقول الأب شاتل: (الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، وواجبات الإنسان نحو الله وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه)[7] وهذا التعريف يعتبر أقرب التعريفات الغربية لمفهوم الدين الصحيح.

أما التعريفات الأخرى السابقة، فقد حصرت الدين في مجال ضيق من الأفكار البدائية، وأنكروا وجود الله. ونظروا للدين كأي ظاهرة اجتماعية يلجأ إليها الإنسان عند الضرورة والأزمات المادية والنفسية... ومن ذلك قال الله

(7) محمد الزحيلي «مرجع سابق»، ص18.

تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[8].

تعريف الدين لدى علماء المسلمين: أما علماء المسلمين فيعرفونه: بأنه وضع إلٰهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات)[9]. أي إنه تنزيل من عند الله وليس من وضع البشر وإيحاء النفس أو تخيل العقل.

فالله سبحانه وتعالى أنزل الدين وأوحى بمبادئه وتعاليمه قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[10].

كذلك نرى أن الدين عقيدة وشريعة ومنهج ونظام في الحياة أساسه العدل والمساواة، أنزل من لدن عزيز حكيم عليم بأحوال عباده.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[11].

فالدين هو ذلك النظام المتكامل، نظام الحياة السليمة التي تنظم فيها علاقة البشر بربهم، وعلاقة البشر بعضهم ببعض. فالدين الذي نعنيه ونبين وظيفته الاجتماعية هو دين الله، وهو الإسلام بنظامه الشامل ونظرته الكلية، ومدى حاجة الإنسانية إليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[12]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[13].

ومما سبق نتبين أن الله سبحانه وتعالى يوضح لنا أن الدين هو الإسلام

---

(8) سورة الزمر، الآية: 8.

(9) محمد الرخيلي «مرجع سابق»، ص20.

(10) سورة البقرة، الآية: 38.

(11) سورة الملك، الآية: 14.

(12) سورة آل عمران، الآية: 19.

(13) سورة آل عمران، الآية: 85.

والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك.

فالإسلام هو الامتثال والانقياد لأوامر الله تعالى بأن يراك الله فيما أمرك به ولا يراك فيما نهاك عنه وحقيقته الشرعية هي **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.**

ويقول الرسول ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».**

ويلخص الطبري صفات المسلم في كتابه الدين والدولة حيث يقول:

«حب الله العلي القدير وحب الوالدين تقوية صلات القربى والجود بما يملك، والحب الخالص للغير، التقشف والصوم، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصدقات، والعفو عن الذنب، والوفاء بالعهد، وتجنب الخداع والغش، والتوبة، وتحريم الخمر والمنكر، والسعي والعمل على نشر الطمأنينة والعدل».

ويعني لفظ مسلم من يستسلم لله: أي من ينكر ذاته أو من يفنى في سبيل الإسلام.

وتعني روح الإسلام نكران الذات والقضاء على الأثرة وهذه هي أعظم حكمة أوحت بها السماء إلى دنيانا.

رابعاً ـ مفهوم الرعاية الاجتماعية:

يعتبر مفهوم الرعاية الاجتماعية مفهوماً قديماً في مضمونه ومحتواه، وإن كان المصطلح حديثاً في التسمية والاستعمال، شأنه في ذلك شأن مصطلحات (الضمان الاجتماعي والتأمين الاجتماعي والتنمية الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية).

حيث إن ما ترمز إليه هذه المفاهيم من مناشط وسياسات وأهداف له خلفية تاريخية قديمة قدم الحياة الاجتماعية والإنسانية ذاتها.

ونجد أنها قد تأثرت في صورتها بما يعيشه الإنسان أو المجتمع من مراحل تطورية مختلفة عبر مسيرة الحضارة البشرية التي من أهم سماتها التغير والتغيير المستمران حتى إن البعض يقول أن السُّنة الوحيدة الثابتة هي سُنة التغير.

فالإنسان البدائي كيَّف نفسه مع البيئة المحيطة به التي تتطلب نوعاً معيناً من العناية لتوفير الأمن والحماية للصغار، حتى يكبروا، ولتوفير المأكل والمأوى، فقد كانت المعيشة في الكهوف والأدغال والجبال.

وحين تطورت حياة الإنسان نوعاً ما، وبدأ بالاستقرار، واتجه للزراعة، واستأنس الحيوان، وتكونت بعض المجتمعات الإنسانية، أخذت الرعاية طابع الإحسان والشفقة والعطف.

على أن تأثير مفهوم الرعاية الاجتماعية بما جاءت به الرسالات السماوية، وخصوصاً ما جاء به الإسلام خاتم هذه الرسالات، كان تأثيراً قوياً دفع بها خطوات جبارة إلى النضوج والتطور والتقدم، ففي حين كانت أوجه هذه الرعاية توجد بأشكال متفاوتة سواء على مستوى رُقيها أو على مستوى الفئات التي تشملها، تبعاً لدرجة تطور المجتمع والزمان الذي يعيشه، جاء الإسلام لدعم روح الرعاية وترسيخها وتوسيع آفاقها ومجالاتها وتحديدها وإلزام الأفراد بها، كما ألزم بها المجتمع وجعلها حقاً من الحقوق الإنسانية.

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومواقف الصحابة والسلف الصالح، التي تؤكد ذلك وتوضحه، وسيأتي مجال ذكرها في حينه. إلا أن مصطلح الرعاية الاجتماعية مصطلح حديث نسبياً، ظهر في أواخر القرن التاسع عشر في أعقاب حركة الإصلاح الاجتماعي، وهو يعني مساعدة من تشملهم الرعاية على النمو الاجتماعي السليم، وتنمية معارفهم ومفاهيمهم الاجتماعية الإيجابية، وزيادة وعيهم بمشكلات مجتمعهم، واكتساب العادات السليمة لمجتمعهم، ونبذ العادات السيئة وبناء علاقات اجتماعية إيجابية، والتكيف الإيجابي أيضاً مع مجتمعهم، وإعدادهم لمتطلبات الحياة الناجحة[14].

(14) عمر التومي الشيباني: «مرجع سابق» ص263.

ومن الجدير بالقول: إذا كانت الرعاية الشاملة للفئات الاجتماعية المختلفة تتضمن رعايتها صحياً وتربوياً وثقافياً وروحياً واقتصادياً وسياسياً، فإن الرعاية الاجتماعية تركز على الجانب الاجتماعي، وهذا لا يمنع بطبيعة الحال من الاهتمام بالجوانب الروحية والصحية والاقتصادية والسياسية... نظراً لتداخل هذه الجوانب مع الجانب الاجتماعي والتفاعل المتبادل فيما بينها، ونجاح أي جانب منها مرتبط بنجاح الجوانب الأخرى التي تشكل شخصية الفرد وشخصية المجتمع. فسوف نثير الحديث عن هذه الجوانب من خلال استعراض ما ورد في الشرائع السماوية ومنها:

أولاً ـ الرعاية الاجتماعية في الديانة اليهودية:

الشريعة الموسوية اليهودية هي من بين الشرائع السماوية، التي لقنت اليهود مبادئ العدل والمساواة بما تضمنته من الوصايا العشر التي جاء بها موسى عليه السلام، تلك التعاليم التي حددت واجباتهم نحو الله والناس.

فقد كانت الديانة اليهودية ترى أنه ما دامت الأرض لله فإنه من حق الفقراء والمساكين أن يتمتعوا بخيراتها، ولذلك عرف اليهود الإحسان الحقيقي، فكانوا يتصدقون يومياً بالطعام، وفي كل جمعة يتصدقون بالنقود، وكان رب العائلة الذي يملك أرضاً زراعية يتنازل عن عُشْر محصوله الذي يملكه، للرهبان والأغراب واليتامى والأرامل والمساكين، ويزرع للفقراء زاوية الحقل التي يجب ألا تقل عن جزء من ستين من مساحة الأرض المزروعة.

وكان المجتمع القائم على الاعتراف بحكم الله وسيادته على الأرض لا يعترف بأي قانون أو عمل أو سلوك خارج نطاق الدين وأحكامه، فكانت القوانين التي تحمي الضعفاء والمنبوذين والغرباء مقدسة، وعلى اليهود العمل بها وعدم القيام بأي فعل من شأنه أن يتعارض مع هذه الأحكام، ومن ثَمَّ كان ضرورياً الالتزام بأحكام الدين.

والديانة اليهودية تدعو إلى الإيمان بأن الإنسان فيه قبس من الله، وعليه أن

يقوم بفعل الخير، حتى يؤكد تلك الحقيقة الإلٰهية الكامنة فيه»[15] والتوراة تضمنت عقيدة وصفت بأنها (دستور قوم اتخذوا من مملكة الله مثلاً أعلى للحكومة)[16].

ويخبرنا القرآن الكريم عن الشريعة اليهودية في مواضع كثيرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[17].

ولقد أكد الكتاب المقدس «التوراة» الوصايا العشر التي أنزلت على موسى عليه السلام، والتي نرى فيها بعض مظاهر الرعاية الاجتماعية في الشريعة اليهودية، ونذكر منها على سبيل المثال «أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض، لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور...».

مظاهر الرعاية الاجتماعية في الديانة اليهودية

إن الديانة اليهودية، كما رأينا سابقاً من تعاليمها الداعية للحق والعدل والمساواة بفضل وصاياها العشر، قد عُنيت عناية كبيرة بالإنسان وبالرعاية الاجتماعية للأفراد والمجتمع مثل رعاية الأيتام والأرامل والفقراء والعجزة والمحتاجين.

1 ـ رعاية اليتامى والأرامل:

أوْلَتْ الديانة اليهودية اهتماماً لليتامى والأرامل والفقراء والمساكين، فقد كانت تقدم لهم المعونات من مأكل وملبس ومأوى، وكانت التعاليم تحض الأفراد على تقديم الأموال والصدقات من أجل هؤلاء المحتاجين (لا تسيء إلى الأرملة أو اليتيم، وإن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك، فلا تكن له

(15) سيد محمد فهمي «مدخل للرعاية الاجتماعية من المنظور الإسلامي المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية 1998.

(16) سيد أبو بكر حسانين ـ مقدمة في الخدمة الاجتماعية.

(17) سورة البقرة، الآية: 83.

كالمرابي، ولا تضعوا عليه رباً، وإن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له[18]، (لا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير)[19].

2 ـ رعاية الفقراء والمحتاجين:

وكذلك أَوْلَتْ اليهودية رعاية الفقراء والمحتاجين اهتماماً خاصاً في كثير من وصاياها، وتعاليمها التي تحض على رعايتهم والإحسان إليهم، وواجبات الأغنياء نحوهم وكان لهذه التعاليم من القوة والأثر ما دفع اليهود في ذلك الوقت إلى احترامها وتنفيذها، فقد جاء على لسان موسى: «إذا حصدت في حقلك ونسيت حزمة فلا ترجع لتأخذها، للقريب واليتيم والأرملة تكون، وعندما تحصد الأرض لا تكمل زوايا حصدك في الحصاد، ولفائض حصيدك لا تلتقط، ونثار كرمك لا تلتقط، للمسكين والقريب تتركه...

وجاء أيضاً «من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه» «افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك» «اقضوا للذليل ولليتيم، انصفوا المسكين والبائس، نجوا المسكين والفقير»، ولعل أسلوب دفع العشور والمستفيدين من هذا النظام الذي ورد في التوراة لدليل كبير على العناية التي أولتها الشريعة الموسوية للرعاية الاجتماعية، وهي ـ كما ورد في كتاب خروج الإصحاح ـ نظام ظهر لدى اليهودية إثْر استيلائها على أرض كنعان وقد نظمت على ثلاث درجات:

ـ العشر الأول:

ويقوم على محصول السنة الأولى ويخص «الأوابين» جامعي العشور.

ـ العشر الثاني:

ويقوم على غلة الأرض في العام الثاني، ويوزع بمعرفة الأوابين على خدام خيمة الاجتماع وتحول نسبة منه للفقراء.

---

(18) محمد عبد الفتاح «الرعاية الاجتماعية أسس نظرية» من سلسلة دراسات وقضايا الخدمة الاجتماعية الكتاب رقم (15) المكتب العالمي للكومبيوتر والتوزيع 1996 ص41.

(19) سيد أبو بكر حسانين ـ مرجع سابق ـ ص46.

ـ العشر الثالث:

ويجبى عن الأرض والحيوانات والثمار، ويقدم للفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل، حسب احتياج كل منهم، كما نصت الشريعة الموسوية على أن تزرع الأرض ست سنوات وفي العام السابع يكون المحصول مشتركاً بين جميع مالكي الأرض، ومن لا يمتلك فيقسم إنتاجها على الأسر بحسب عدد أفرادها[20].

3 ـ الرعاية التعليمية في الديانة اليهودية:

حثت الديانة اليهودية على التعليم وقامت بإنشاء المدارس ووضعت الأسس والضوابط اللازمة لذلك، فلا يقبل الأطفال دون سن السادسة في التعليم، وكان المعلم ذا مكانة رفيعة، ويطلق عليه «حارس المدينة»؛ لاهتمامه بتربية النشء وتثقيفه. ومن بعض التعاليم في هذا المجال «بالحكمة تبني البيت، والفهم يثبت وبالمعرفة تمتلئ المخادع من كل ثروة»، «حافظ التعليم هو في طريق الحياة، ورافض التأديب ضال»، «تحصيل الحكمة خير اللآلئ».

4 ـ الرعاية الاجتماعية العمالية:

عملت الشريعة الموسوية على تنظيم العمل بين رب العمل والأجير لتضمن لكل منهما حقه، جاء في أحد النصوص.

«لا تبيِّتْ أجر أجير عندك إلى الغد، ولا تظلم مسكيناً وفقيراً من إخوانك أو من الغرباء الذين في أرضك، في يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس»[21] ومن مظاهر الرعاية الاجتماعية الأخرى في اليهودية ديمقراطية موسى وعدم انفراده عليه السلام بالحكم «الرعاية الاجتماعية السياسية» فكون مجلساً للحكم يضم 70 شيخاً ممن كانوا يخافون الله ويتميزون بالأمانة والتجربة

(20) محمد عبد الفتاح محمد ـ مرجع سابق ـ ص42.

(21) محمد عبد الفتاح محمد ـ مرجع سابق ـ ص43.

في الحياة، ويختص هذا المجلس بشرح الشريعة ورسم السياسة العامة لبني إسرائيل، وتعيين القضاة ووضع التشريعات، كما اهتمت اليهودية بتنظيم العدالة الاجتماعية، واعتبرت ذلك جزءاً من عمل مقدس هو الاستمرار في عملية الخلق، وتكملتها على الأرض، بوحي من الله ومن ثَمَّ فإن أي عمل إنساني إيجابي ما هو إلا إسهام في تكملة عملية الخلق[22].

وخلاصة القول، نرى أن الشريعة اليهودية «الموسوية» قد أولت اهتماماً وعناية كبيرة بالرعاية الاجتماعية، ولقد كانت وصايا موسى العشر، تحث بني إسرائيل على التعاطف والتراحم وتدعيم الحق والعدل، ونشر السلام في ربوع الأرض، وتحقيق العدالة في كل مجالات الحياة، والحض على إنشاء مملكة الله على الأرض التي من الممكن اعتبارها دعوة للمدينة الفاضلة[23].

ولكن نلاحظ أن «أصحاب اليهودية» قد انحرفوا ـ فيما بعد ـ عن هذه التعاليم السمحة، وحرفوا في الشريعة من أجل مصالح دنيوية، وصاروا حاملي لواء الأنانية والفساد والربا والظلم الاجتماعي.

ومن أهم الانحرافات التي نلاحظها في اتجاهات أصحاب الديانة اليهودية هذه الأيام، الابتعاد عن كل ما هو خيّر وأخلاقي إنساني، بل على العكس من ذلك أصبحوا يدعون إلى نبذ الآخرين.واحتقارهم وقتلهم «قتل الغير»، وإشعال نار الحروب المدمرة بين بني البشر، حيث نجد أن الحربين العالميتين في القرن العشرين كانتا بسبب من الفتن والدسائس التي يعمل لها قادة الصهيونية في العالم.

يقول الشيخ محمد محمود ندا، في مقال له بعنوان (اليهود جناة على الأخلاق والمجتمع) نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة «إن شئت أن تسمي جماعة من الجماعات بأنها يهودية أو دولة تصفها بذلك الوصف، أو واحداً من الناس

---

(22) محمد عبد الفتاح محمد ـ مرجع سابق ـ ص44.

(23) سيد أبو بكر حسانين ـ المرجع السابق ـ 46.

تصفه بها فالفعل، وليس مؤدى ذلك أن يكون من أصل يهودي ينتمي إلى إسرائيل النبي، الذي شوهوا في الأجيال اسمه» «وقد يوصف جيل بأنه يهودي إذا غلبت عليه الأخلاق اليهودية ومساوئها، واليهود أقدر الناس على أن ينشروا أخلاقهم ويشيعوا فسادهم، فيعم الشر ويظهر الفساد في البر والبحر»[24].

يقول الله تعالى في كتابة الكريم مبيناً لنا ما حصل للمجتمع اليهودي من انحرافات عن تعاليم شريعته: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[25]، ويقول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[26].

ومن مظاهر انحرافات اليهود عن تعاليم ديانتهم أنهم حرموا الربا بينهم بشدة، وجعلوه تجارتهم الحلال الرابحة بالنسبة لغيرهم، مع استحلالهم خيانتهم، وذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل. كذلك استرقاق من سواهم من عباد الله وتحريم أن يستعبد الإسرائيلي إسرائيلياً غيره[27]. فهم، بحق، قد زوروا الدين وحاولوا تزوير التاريخ وسرقة تراث الشعوب، وقد تمكن الباحثون في تاريخ الحضارات والآثار من إطلاع شعوب العالم بأن اليهود أمة معتدية لا ماضي لهم سوى القتل والإباحية، والتعلق بالمادية في صورتها الكالحة، والظهور بمظهر الاستعلاء، والادعاء بأنهم شعب الله المختار.

ثانياً: الرعاية الاجتماعية في الديانة المسيحية:

جاءت الديانة المسيحية مكملة للديانة اليهودية، وتحث أفرادها على الإحسان والتصدق ورعاية المحتاجين، وتنظيم العلاقات فيما بينهم، فقد جاء

---

(24) الشيخ محمد محمود ندا «مجلة الهدى الإسلامي» العدد الثالث السنة الثانية عشرة 1969ف.

(25) سورة المائدة، الآية: 66.

(26) سورة الإسراء، الآية: 4.

(27) محمد يوسف موسى «الإسلام وحاجة الإنسانية إليه» مكتبة النجاح ـ الكويت ط ـ 4 ـ 1980 ص36.

في إنجيل متّى عن المسيح عليه السلام «لا تظنوا أني جئت أنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»[28].

فالمسيح عيسى ابن مريم، عليه السلام، ما جاء إلا ليحدث ثورة اجتماعية على المجتمع الفاسد والظالم والمستغل، ليقلل من تكالب الناس على المال، حتى لا يسحق الإنسان أخاه الإنسان في سبيل صعود السلم الاجتماعي، والحصول على المكاسب المادية والمآرب الشخصية، دون الالتفات لمصلحة المجتمع ككل.

والمتأمل للكثير من آيات الإنجيل تتضح له معالم الرعاية الاجتماعية في المسيحية، التي تتمثل في كثير من الأحكام، ويعبر عنها صراحة في مظاهر مختلفة «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، طوبى للجياع، بالصدقة يقبل الصوم ومعها تقبل الصلاة، مَنْ سألك أعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده، إن مرور جمل من ثقب الخياط أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون»[29].

فالديانة المسيحية في أيام المسيح، عليه السلام، اهتمت بتطهير البشرية من كل الرذائل ومحاربة المادية البشعة التي انتشرت مع انتشار اليهود المارقين، وما أدت إليه من تفاوت طبقي، وعودة إلى مظاهر التخلف والانحراف التي كانت تسود دائماً قبل نزول الأديان السماوية.

وجاهد المسيح عليه السلام والحواريون من حوله لكي تعود للبشرية قيمها الروحية، وتعود للتعاليم والمبادئ السمحة تأثيراتها على الناس.

مظاهر الرعاية الاجتماعية في الديانة المسيحية

أَوْلَتْ الديانة المسيحية اهتماماً كبيراً بالمحتاجين والفقراء والأيتام

---

(28) محمد عبد الفتاح ـ مرجع سابق ـ ص45.

(29) سيد محمد فهمي «الرعاية الاجتماعية من المنظور الإسلامي» المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 1998 ص38.

والمساكين، وغيرهم ممن يستحقون الرعاية والاهتمام، ورغَّبت الناس في فعل الخير وتقديم العون لمن يحتاجون، **ومن أهم هذه المظاهر:**

أولاً ـ رعاية الفقراء والمساكين:

بما أن المسيحية جاءت مكملة للديانة اليهودية، فقد عملت بنظام العشور الذي كان سائداً في السابق، وغيرت من وجهة النظر لتلَقِّي الصدقات فأصبح للفقير حق مشروع فيها، ولذا يجب أن تقدم له المساعدة، كإنسان، فتطورت المساعدة من كونها وصية إلى ركن من أركان العبادة المسيحية، ومن أمثلة ذلك «بيعوا أموالكم وأعطوا صدقة» «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون»[30].

وكانت الصدقة تشمل المال والعقار والطعام والثياب، وهي واجبة على الجميع، وثوابها على حسب روح معطيها لا بحسب الكثرة أو القلة.

والصدقة نوعان:

أ ـ الصدقة الفردية وتُعطى للعائلات التي فقدت عائلها.

ب ـ الصدقة الجهورية وتشمل العشور، النذور، البكور، الوقف الخيري.

ثانياً ـ رعاية الأسرة:

نصت تعاليم الديانة المسيحية على رعاية الأسرة وحمايتها وخلق مناخ أسري جيد بين أفرادها، فالزواج يُعد من أقدس مبادئ المسيحية وأهمها «**أيها البنون أطيعوا والديكم في كل شيء، لأن هذا مرضٍ للرب، العين المستهزئة بالأب والمستخفة بالأم تفقؤها غربان الوادي وتأكلها أفراخ النسر**». «**أيها الأولاد أطيعوا والديكم ليكن لكل رجل امرأته ولكل امرأة زوجها**». «**يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً**».

ثالثاً ـ رعاية الأيتام والأرامل:

اهتمت المسيحية برعاية الأيتام والأرامل، واعترفت بنظم اجتماعية كالتبني

---

(30) سيد أبو بكر حسانين «المرجع السابق» ص48.

وإنشاء الملاجئ التي كانت تسمى «بيوت المحبة»[31]، وكذلك رعاية الغرباء. جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين «الديانة الظاهرة هي افتقار الأيتام والأرامل في حنيتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس»[32] وهناك العديد من التعاليم التي تبرز اهتمام الديانة المسيحية بالأيتام والأرامل ومنها «أيها الأساقفة عندما تجمعوا الغلاّت قدموها للمحتاجين وفرقوها على الإخوة الأيتام والأرامل»، «أيها الأساقفة اهتموا بطعام الأيتام ولا تدعوهم يحتاجون شيئاً أوقفوا لهم ما لآبائهم وللأرامل ما لأزواجهم، وليكن اهتمامكم باليتامي أكثر»[33].

رابعاً: الخدمات التعليمية:

قامت الديانة المسيحية بإنشاء الكتاتيب التي تعلم الأطفال مبادئ وتعاليم المسيحية، وذلك منذ بلوغهم سن الرابعة، فيتعلمون المبادئ الدينية والمدنية وأُسست جامعة الإسكندرية اللاهوتية في القرن الرابع الميلادي. وفي رسالة أرسلها بولس لتلميذه ينموتوس يقول له فيها: «علم وعظ لا يستهين أحد بحداثتك».

خامساً ـ رعاية المرضى وذوي العاهات:

كانت الكنيسة تقدم الرعاية اللازمة للمرضى وتقوم بزيارتهم، كما قامت بإنشاء المستوصفات والمستشفيات، وقدمت من خلالهم الرعاية اللازمة لمستحقيها كما اختص بعض رجالها في الطب، كما قدمت الكنيسة خدمة جليلة لذوي العاهات، فأوجدت بعض الأعمال التي تناسبهم في الأديرة: مثل تحفيظ الأناشيد الدينية لفاقدي البصر، وقبولهم للعمل بداخل الكنيسة.

والملاحظ أن كلّ ما تم ذكره من مظاهر الرعاية الاجتماعية في الديانة المسيحية كانت تقدم من خلال الأديرة، فهي التي توفر المأوى والمأكل

---

(31) سيد أبو بكر حسانين ـ المرجع السابق ـ ص38.

(32) محمد عبد الفتاح محمد ـ المرجع السابق ـ ص47.

(33) محمد عبد الفتاح محمد ـ المرجع السابق ـ ص48.

والملبس للفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل، وتقدم العلاج للمرضى، وكذلك ما يقوم به الرهبان والجماعات الدينية من تقديم المساعدات الدينية والأدوية والملاجئ للمحتاجين.

وفي نهاية الحديث عن المسيحية نشير إلى أن هذه الديانة ـ كسابقتها ـ قد انحرف بها معتنقوها من المسيحيين عن جادة الصواب، وحرّفوها عن أصولها التي جاءت من عند الله، وساد المجتمعات المسيحية حب المال وجمعه بأي وسيلة كانت، وظهر الفساد الاجتماعي والتفاوت الطبقي الفاحش، ولم يُقَمْ العدل الإلٰهي بين أبنائها وانتشرت الفواحش فيهم.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[34]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[35].

الرعاية الاجتماعية في الإسلام

تقوم العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي على أسس ثابتة وقوية ودائمة، فبالإضافة إلى روابط الدم والقرابة والمصلحة المادية المشتركة، نجد رابطة الإيمان بالله الواحد الأحد والعمل الصالح، وأن يسلم الناس وجوههم لله الواحد الأحد في ظل المساواة والعدالة الاجتماعية، وتكون بذلك أُمة الإسلام خير أُمة أُخرجت للناس يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[36]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[37].

---

(34) سورة المائدة، الآية: 66.

(35) سورة آل عمران، الآية: 187.

(36) سورة آل عمران، الآية: 110.

(37) سورة فصلت، الآية: 33.

ويقول تعالى ليبين لنا أن الصلة الروحية أقوى من صلة الدم: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[38] وهكذا يكون المتعصب لصلة القرابة من الجاهلين، على أن الإسلام، وكما جاء في الآيات القرآنية العديدة الأُخرى، يحث على تقوية صلة الرحم والحفاظ عليها، شريطة ألاَّ تخل بالعقيدة أو تضرَّ بها يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿13﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[39].

والرسالة الإلٰهية منذ أن عرفت على عهد أقدم الرسل نوح، عليه السلام، إلى عهد رسول الله محمد ﷺ تُعنى بالروابط الإنسانية وتوجه الإنسان نحو إدراكها والعمل على تقويتها، فالدعوة الإسلامية هي دعوة إلى إقامة مجتمع إنساني ينبذ صفات الجاهلية المادية، ويتحلى بالصفات الإنسانية، وتدعو إلى مجتمع يعطي أفراده من فائض إنسانيتهم إلى أصحاب الحاجة، بدلاً من مجتمع يستغل أفراده حاجة بعضهم بعضاً، يقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[40]،

وإن أهم ما جاء به الإسلام في مجال الرعاية الاجتماعية مبدأ التكافل الاجتماعي، الذي كان نبينا محمد، عليه الصلاة والسلام، أول من طبقه حينما آخى بين المهاجرين المعدمين والأنصار أهل يثرب وسكانها، وذلك بأن أشرك المهاجرين مع الأنصار في ثرواتهم[41].

---

(38) سورة هود، الآيتان: 45 و46.

(39) سورة لقمان، الآيات: 13 ـ 15.

(40) سورة الإنسان، الآيتان: 8 و9.

(41) سيد أبو بكر حسانين ـ المرجع السابق ـ ص51.

التكافل الاجتماعي في الإسلام
والمفاهيم الحديثة للرعاية الاجتماعية

يشمل التكافل الاجتماعي في معناه ومدلوله معاني ومدلولات العديد من المصطلحات الحديثة، التي تتضمنها الرعاية الاجتماعية: كالضمان الاجتماعي، والتأمين الاجتماعي، والتنشئة الاجتماعية، والتنمية الاجتماعية، والنمو الاجتماعي، والرفاهية الاجتماعية.

وسنمر على معاني هذه المصطلحات، ولو بشكل سريع، وذلك، فقط، لتوضيح أن معانيها يمكن إدراجها تحت **مفهوم التكافل الاجتماعي**:

أ ـ مفهوم الضمان الاجتماعي:

ويقصد به «جميع النظم التي تقدم بمقتضاها خدمات أو مساعدات أو مزايا للمحتاجين إليها أو المستحقين لها، في الحالات الموجبة لتقديمها، سواء أكان تقديم هذه الخدمات أو المساعدات أو المزايا عن طريق التأمين الاجتماعي أو تنظيم المساعدات الاجتماعية أم عن طريق آخر»[42].

والملاحظ أن الضمان الاجتماعي بهذا المفهوم، وإن لم يوجد في النصوص والتشريعات الإسلامية بالاسم، فإنه موجود بمحتواه ومدلوله؛ لأن أهدافه ومقاصده وفلسفته تتماشى مع روح ومبادئ الشريعة الإسلامية المتمثلة في العدل والمساواة والإخاء والتعاون والتآزر والتراحم والتوادد والتعاطف والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أي إن التكافل الاجتماعي يزيد في مضمونه على مضمون الضمان الاجتماعي بالكثير[43].

ب ـ مفهوم التأمين الاجتماعي:

ويعني «تقديم مزايا للمُؤَمَّن عليهم من حالات يحددها نظام التأمين، نظير

---

(42) (43) عمر التومي الشيباني ـ المرجع السابق ـ ص270 ـ 271.

اشتراكات أو أقساط تدفع مقدماً أو بصفة دورية»[44] وهو لا يصل إلى مفهوم التكافل الاجتماعي، لأنه يضيِّق المساعدات في إطار ما يدفع من اشتراكات فقط.

ج ـ مفهوم التنشئة الاجتماعية:

ويعني «كافة الجهود التي تبذل من أجل إكساب الفرد معتقدات وقيم وعادات وتقاليد مجتمعه، وتعليمه الأدوار الاجتماعية المتوقعة منه اجتماعياً، التي تتلاءم مع جنسه وسنه ووضع أسرته الاجتماعي والثقافي وطبعه بطابع مجتمعه، وطابع الثقافة القائمة فيه لتيسير الحياة عليه في مجتمعه وتيسير تفاعله مع بقية أفراد المجتمع[45].

ونجد أن التنشئة الاجتماعية جزء من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، وذلك بتنظيم علاقة الكبار بالصغار وإلزام الكبار بتوفير التنشئة السليمة للصغار روحياً وتعليمياً وجسمياً، وأن يكونوا قدوة صالحة لهم في فعل الخيرات واجتناب ما يؤدي إلى معصية الخالق ويضر بالإنسانية.

د ـ مفهوم التنمية الاجتماعية:

وتعني (عمليات تغيير اجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه وتسعى لإقامة بناء اجتماعي جديد، يُمكن عن طريقه إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد)[46]. أي إنه يعني تغيير الأوضاع لتواكب روح العصر وإقامة البناء الاجتماعي الملائم للأوضاع المتجددة الذي يشبع حاجات المجتمع، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[47].

هـ ـ مفهوم النمو الاجتماعي:

يعني في مرحلة الطفولة الأولى (اكتساب الطفل للسلوك الاجتماعي الذي

---

(44) (45) عمر التومي الشيباني ـ المرجع السابق ـ ص268.

(46) عمر التومي الشيباني ـ مرجع سابق ـ ص269.

(47) سورة الرعد، الآية: 11.

يساعده على التفاعل مع أفراد ثقافته، ويعتبر هذا السلوك حصيلة لعملية التنشئة الاجتماعية كما يتوقف على النضج)[48] وغنيّ عن البيان أن التربية الإسلامية والتكافل الاجتماعي في الإسلام يحرصان على توفير النمو السليم للطفل في كل مراحل نموه بما يتناسب مع كل مرحلة.

و ـ وأخيراً نجد مفهوم الرفاهية الاجتماعية:

الذي يستهدف الوصول لأقصى ما يمكن من وسائل الراحة والسعادة للجميع، فإن التكافل الاجتماعي يشتمل على هذا المعنى متى توافرت الوسائل والإمكانيات والظروف التي يتطلبها، وأن تكون هذه الرفاهية بالجميع وللجميع يشترك الجميع في تحقيقها أو الاقتراب منها، على الأقل ،كما يشتركون في جني ثمارها، وهذا ينقلنا للحديث عن قضية المسؤولية التكافلية أو (من هو المسؤول عن تحقيق التكافل الاجتماعي).

نجد أن المسؤولية التكافلية موزعة بين أفراد المجتمع وجماعاته من ناحية والدولة من ناحية أخرى، وقيام كل جهة بدورها سيؤدي لتكامل الجهود، وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل:

1 ـ مسؤولية الفرد التكافلية:

يُلزِم الإسلامُ كل مسلم بالقيام بمسؤولية في الرعاية أولاً تجاه نفسه، وثانياً تجاه الآخرين وخاصة من تجب عليه رعايتهم، بالإضافة إلى مسؤولية الفرد التكافلية في حفظ المجتمع الإسلامي وتنميته بأكمله.

أ ـ فالفرد مسؤول عن ذاته وكفالة الكرامة لها وصونها من ذُل السؤال بالعمل الجاد والإخلاص فيه، وألا يقتصر المسلم على العبادة فقط. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[49]. ويقول الرسول صلوات الله عليه حاثاً على العمل «**ما أكل أحد طعاماً قط**

(48) سعد جلال ـ من علم النفس ـ القاهرة ـ دار المعارف بمصر 1971 ص128.

(49) سورة الجمعة، الآية: 10.

خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري. والمسلم مع ذاته يحفظها من الزلل والضلال والجنوح، فيجنبها الابتعاد عن طريق الحق والسواء الاجتماعي. وهو يفعل كل ذلك من خلال العمل لكسب الرزق أو من خلال العبادات سواء كانت عبادة يومية كالصلاة يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[50]. ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[51] أو بالعبادة السنوية كالصوم مثلاً.

ب ـ ويتكافل الفرد بينه وبين من استرعاه الله من أفراد أسرته فيلتزم بالإنفاق على أولاده وأبويه، ويحسن لذوي قرباه ويرعاهم قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[52]. ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك **«الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** رواه ابن ماجه، ويقول أيضاً: **«بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك»** رواه الترمذي.

ج ـ كما يتكافل الفرد مع أفراد مجتمعه الآخرين الذين يشكلون المجتمع الإسلامي، فيسابقهم لفعل الخير، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فتكون روح المحبة والإخاء هي القاسم المشترك بين المسلم وأفراد مجتمعه.

يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[53].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[54]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟

---

(50) سورة البقرة، الآية: 45.

(51) سورة العنكبوت، الآية: 45.

(52) سورة النساء، الآية: 36.

(53) سورة التوبة، الآية: 71.

(54) سورة الحجرات، الآية: 10.

عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[55]. ويقول الرسول الكريم ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم. وقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» ويقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» رواه الشيخان. ويقول: «**كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته**» متفق عليه، ويقول في حفاظ الإسلام على كرامة المسلم وتحريم خذلانه وظلمه واحتقاره ودمه وعرضه: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هُنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» رواه مسلم.

وخلاصة القول في مسؤولية الفرد المسلم التكافلية في كونه مسؤولاً تجاه نفسه وأولاده وأبويه وأسرته وذوي رحمه، ومسؤول تجاه جماعات مجتمعه الإسلامي وأمته الإسلامية.

2 ـ مسؤولية الجماعة والمجتمع التكافلية:

حيث يُلزم الإسلام كل جماعاته بالتعاون للصالح العام ويقومون على إشباع حاجاتهم في تساند وتعاضد وتآزر يقول تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[56] ويقول الرسول الكريم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**». وهكذا تُصان حقوق الفرد إذا كان فقيراً مثلاً، فعلى الميسورين إشباع حاجاته إذا لم يشبعها بيت المال والزكاة.

فقد فُرض على الأغنياء من أهل كل بلد كما يقول ابن حزم «أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكاة بهم، ولا فيء أموال المسلمين»، «بل إنه قرر تضمين البلد الذي يموت أحد أفراده جوعاً فيؤدي أهله جميعاً ديته متضامنين كأنهم شركاء في موته».

---

(55) سورة المائدة، الآية: 2.

(56) سورة التوبة، الآية: 71.

3 ـ مسؤولية الدولة التكافلية:

يُلزم الإسلام الدولة بإرساء قواعد التكافل الاجتماعي، فتحفظ الأمن للمسلمين وغير المسلمين بها «كأهل الذمة مثلاً» وتحفظ حدودها وتقيم العدل والمساواة، وتتيح فرص التعليم والثقافة للجميع، وتلتزم بتحقيق الرعاية الشاملة لأفراد المجتمع كافةً، يقول الرسول الكريم ﷺ: «**من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وضالتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وضالته وفقره يوم القيامة**» رواه أبو داود والترمذي. وقال ﷺ: «**من لا معيل له فالسلطان وليّ من لا وليّ له**» رواه أحمد وابن ماجه والترمذي. ونلاحظ من هذه الأحاديث أنها ترسي قواعد التأمين الاجتماعي في الإسلام.

وقال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في خطبة له في الولاة: «ألا وإني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدووا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم...»[57].

وكتب طاهر بن الحسن إلى عبد اللّه بن طاهر في إحدى مراسلاته إليه فقال: «وتعاهد ذوي البأساء وأيتامهم وأراملهم، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال، وأجرِ للأضراء من بيت المال، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثر من الجراية على غيرهم، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم، وقوماً يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم بشهواتهم ما لم يؤدِ ذلك إلى إسراف في بيت المال»[58].

ولو حللنا هذا النص التاريخي لتبين لنا منه بعض الخطوط العريضة للمسار الذي كانت تسير فيه الرعاية الاجتماعية في الدول الإسلامية، حيث الاعتراف بحق الفئات المحتاجة في الرعاية، وأن تتعاهد الدولة بعنايتها وإشباع حاجاتها

---

(57) (58) عمر التومي الشيباني ـ مرجع سابق ـ ص278 ـ 279.

والاهتمام بالتعليم والإسكان والصحة العامة، بل يتعدى ذلك إلى تقديم ما يشتهونه وبدون إسراف؛ أي الوصول إلى درجة الرفاهية الاجتماعية والدرجات المثالية للرعاية الاجتماعية.

أهداف الرعاية الاجتماعية في الإسلام:

تسعى الرعاية في الإسلام لتحقيق أهدافها من خلال ثلاثة مستويات تمثل الحاجات الإنسانية وهذه المستويات هي: مستوى توفير الضروريات، مستوى توفير الحاجيات، مستوى التكميليات.

وتتمثل الضروريات في صيانة الأركان الخمسة للحياة الفردية الاجتماعية السوية وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهذا المقصد أوليّ وأساسي للشريعة الإسلامية، أما بالنسبة للرعاية على مستوى الحاجيات، فتشتمل على ما لا يتوقف عليه صيانة الأركان الخمسة سالفة الذكر، ولكنها مطلوبة للتوسعة عن المسلمين مثل: التمتع بالطيبات، وحفظ الصحة، والتعليم، وتؤكد على ذلك القاعدة الفقهية التي تقول: «إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

أما التكميليات فتتجاوز حدود الحاجيات وهي تجمّل الحياة:

(أفعالاً وأشياء) وتتجاوز حدود الحاجيات ولا تصعب الحياة بتركها، وإذا تجاوزنا التكميليات فإننا ندخل في مرحلة الإسراف التي ينهى عنها الإسلام، ويُمكن أن، نُجمل الأهداف العامة للرعاية الاجتماعية في **الإسلام في النقاط التالية:**

أ ـ صيانة كرامة الأفراد المستفيدين من هذه الرعاية، باعتبار الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وتنمية إرادة التغيير لديه إلى الأفضل، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[59]، كما تحث هذه النقطة على تقوية الرابطة الاجتماعية والشعور بالانتماء.

---

(59) سورة الرعد، الآية: 11.

ب ـ تنمية الوازع الديني والخلقي لدى من تُقدَّم لهم الرعاية، وذلك من خلال زيادة الوعي الديني بأحكام الله وأوامره ونواهيه، وإرشاد الناس وتوجيههم؛ ليكون الوازع الذاتي خير ضمان لاستمرارية وديناميكية الرعاية في الإسلام، والتصدي للغزو الثقافي والأفكار الهدامة الملحدة التي ينشرها الأعداء، وتروج لها الصهيونية العالمية ضد الإسلام والعروبة.

ج ـ حماية حقوق من تستهدفهم الرعاية اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، ومن جميع النواحي التي يحتاجها الفرد وهو ما يسمى الآن بحقوق الإنسان.

د ـ الرفع من مستوى البيئة الإنسانية والاجتماعية للأفراد والجماعات والمجتمعات، صحياً وسكنياً، وتكافؤ الفرص، والتوفيق بين المصالح الفردية والجماعية، واتباع سياسة الوسط والاعتدال قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[60]. ويقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «**إياكم والغلو فإنما أهلك الذين قبلكم الغلو**».

هـ ـ تنمية روح التكافل والتعاون والتآخي والانسجام بين أفراد المجتمع وجماعاته وأجياله كافةً.

و ـ تحقيق التنمية الاجتماعية المتكاملة، وإقامة المجتمع المؤمن بالله الواحد الأحد، المجتمع المتسامح والمحب للخير والسلام والعدل.

ز ـ حماية المجتمع الإسلامي من التفكك والأمراض الاجتماعية.

---

(60) سورة البقرة، الآية: 143.